الحركة النسائية الفلسطينية
(١٩٠٠ ـ ١٩٣٩)

عوض خليل

باحث فلسطيني

في العقد الاول من القرن الحالي، لم تكن توجد في فلسطين حركة نسائية بالمعنى الحقيقي للكلمة، فقد كان جلّ ما استطاع بعض النساء الفلسطينيات، في ذلك الوقت، تحقيقه هو تشكيل بعض جمعيات تطوعية لأهداف العمل الخيري. ففي البداية، اقتصر هذا النشاط على بعض النساء المسيحيات اللواتي تمكّن، في تلك الفترة، من تحصيل قدر من التعليم، وسمحت لهن الشروط الأقل تزمتاً في العادات والتقاليد من دخول ميدان العمل الخيري. ففي العام ١٩٠٣، تأسست، في مدينة عكا، «جمعية اغاثة المسكين الارثوذكسية» برئاسة نبيهة الملكي منسي، واستمرت تعمل بنشاط حتى العام ١٩١٦، وكان هدفها الاول العناية بالفتيات الصغيرات من بنات الطائفة الارثوذكسية[١]. وفي العام ١٩١٠، تأسست، في يافا، «جمعية عضد اليتيمات الارثوذكسيات» برئاسة اديل عازر التي بقيت في هذا المنصب حتى أُغلقت الجمعية في العام ١٩٤٧. وافتتحت الجمعية مدرسة وطنية في العام ١٩٢٣ تخطت الطائفية، وضمّت في رحابها كل طالبة عربية دون أية تفرقة. وقد حققت الجمعية هدفها في تعليم الفتيات المتفوّقات في يافا وارسالهن الى الخارج على نفقتها، وقامت ببناء ثلاثة مخازن تجارية ليصرف ريعها على الجمعية والمؤسسة[٢].

استمرت جهود النساء الفلسطينيات المسيحيات في تأسيس جمعيات خيرية تطوعية. ففي العام ١٩١١، تأسست، في حيفا، «جمعية الاحسان المسيحية العامة للسيدات»، برئاسة حرم فؤاد سعد. وكانت أهدافها ـ كما جاء في المادة الثانية من دستورها ـ انها: «تقوم بالاعمال الخيرية العامة، وتؤسس وتدير بيتاً للمسنّين والمحرومين لكل الجماعات المسيحية في فلسطين دون أي تمييز»[٣]. وفي العام ١٩١٨، تأسست، في القدس، «جمعية تهذيب الفتاة الارثوذكسية»، واستمرت تعمل، بنشاط، حتى العام ١٩٤٧، وتولّت رئاستها كاترين شكري ديب. وكان هدفها تعليم الفتيات المتفوقات في المعاهد العليا، وتمكّنت من تعليم الكثير من الفتيات في الكلية الانكليزية وكلية شميدت في القدس، وسعت، جاهدة، الى تحقيق مشروع المعهد العالي للاناث، الاّ انها توقفت عن العمل قبل تنفيذ المشروع[٤].

في المقابل، بدأت سنوات تلك الفترة تشهد تأسيس جمعيات تتجاوز الاطار التقليدي المتمثل في الاعمال الخيرية والانسانية، وتتجاوز، أيضاً، الحدود الطائفية الضيقة لنشاط الجمعيات. ففي